تلقي رواية: (اللاز)للطاهروطارفي الخطاب النقدي المُعاصر
-قراءة وصفيّة تحليليّة لنماذج مختارة-

Receiving a novel: (Laz) by Al-Taher and flew in the contemporary critical discourse
- An analytical descriptive reading of selected models -

د-محمد سيف الإسلام بوفلاقة1،*

[1] جامعة عنابة،(الجزائر) saifalislamsaad@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2021/01/28 م **تاريخ المراجعة**: 2021/07/12 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

يجمع الدارسون-أو يكادون-، على أن مرحلة السبعينيات،تعد المرحلة الفعلية التي عرفت قفزة حقيقية للنهوض الروائي الفني في الجزائر؛حيث إنها مرحلة تأصيل الرواية الجزائرية؛ والتي ظهرت فيها مجموعة من الأعمال نذكر منها:«ريح الجنوب» لعبد الحميد بن هدوقة، و«اللاز»للطاهر وطار؛ موضوع بحثنا، وقد وصفت هذه الرواية بأنها التجربة الروائية الجديدة المتقدمة في الفترة التي أعقبت الاستقلال، حيث مكنت الجزائريين من الانفتاح الحر على عوالم الرواية العربية المعاصرة، ومما لا يشوبه ريب أن الكتابة الروائية خلال تلك الفترة سجلت شجاعة في طروحاتها الفكرية،ومغامراتها الفنية؛ لأن الكاتب أضحى ينطلق من رؤى تعبيرية متحررة لا يردعها الواقع السياسي الاستعماري.

ونروم من خلال هذا البحث تسليط الضوء على هذه الرواية المتميزة، والتي توصف بالرواية المفصلية؛ كونها فصلت بين مرحلة التأسيس، ومرحلة التأصيل للرواية العربية في الجزائر،كما نسعى إلى الوقوف مع بعض الرؤى النقدية التي قدمت ،وهي بصدد مدارسة رواية«اللاز»؛ التي لها أهمية استثنائية في تاريخ الأدب الجزائري.

الكلمات المفتاحية : تلقي ؛ رواية ؛ خطاب ؛ نماذج؛ قراءة.

Abstract

Scholars agree - or almost - that the seventies is the actual stage that witnessed a real leap for the artistic novel's advancement in Algeria, as it is the stage of rooting the Algerian novel; And in which a group of works appeared in it, including: "The Wind of the South" by Abd al-Hamid bin Hadouka, and "Laz" by al-Taher and flew The subject of our research, and this novel has been described as the new advanced fictional experience in the post-independence period, as it enabled Algerians to

*المؤلف المراسل.

pen up freely to the worlds of contemporary Arab novels, and it is undeniable that fictional writing during that period recorded courage in its intellectual propositions and artistic adventures; Because the writer now starts from expressive visions that are not deterred by the colonial political reality. This enabled it to transmit the spirit of the Algerian people and penetrate its various social spaces.

Through this research, we aim to shed light on this distinguished narrative, which is described as an articulated narrative; As it separated the foundation stage from the rooting stage of the Arabic novel in Algeria, we also seek to stand with some of the critical visions that were presented, which are in the process of studying the novel "Laz"; Which has an exceptional importance in the history of Algerian literature.
Key words: receive; a novel ; Speech ; Forms; reading.

مقدمة:

لم تحظ الرواية العربية منذ نشأتها باهتمام كبير من لدن الدارسين، والباحثين،وقد ظلت لفترة طويلة تعاني من التهميش،وعدم الاهتمام،وفي المشرق العربي مرت بمحاولات عديدة عبر الكتابات، والترجمات من قبل المثقفين العرب ،الدين احتكوا بالثقافة الغربية عن طريق البعثات العلمية، حتى وصلت إلى درجة الرواية الناضجة من بنيتها السردية، وعناصرها التركيبية، وظهرت بشكل جلي في مرحلة الستينيات، وهو أمر طبيعي لأن النتاج الروائي يرتبط أساسا بالتطور، والتراكم المعرفي، ومن هنا نقول إذا كان هذا هو المسار الثقافي المختصر للرواية العربية في رحلة ظهورها في المشرق العربي، فما هو موقع الرواية العربية في الجزائر بعد تأخر ظهورها [1].

إنه، وعلى الرغم من كل الضغوطات الاجتماعية، والأحداث المؤلمة، وما تنوء به من حوامل ثقافية، ولغوية، وسياسية قاهرة،لم تمنع تلك الأحداث بعض الأدباء من الإحساس بضرورة الخروج على الأجناس الأدبية المهيمنة في ذلك الزمن، فبدأت تظهر البواكير الأولى في مجال التجريب الروائي باقترابهم من حركية الصراع الاجتماعي، الذي بدأ يُمهد الطريق لاندلاع الثورة التحريرية الجزائرية المسلحة، فبدأ البحث عن أشكال جديدة تستوعب أفكارهم،ورؤاهم المملوءة بالحلم، والأمل، وقد كانت المحاولات الأولى لظهور الرواية الجزائرية قبل مرحلة السبعينيات من القرن المُنصرم،ومن بين هذه المحاولات«غادة أم القرى»لأحمد رضا حوحو،التي يذهب بعض الدارسين إلى أنها العمل المؤسس للأدب الروائي الجزائري، أما فترة السبعينيات، فتعتبر المرحلة الفعلية التي شهدت قفزة حقيقية للنهوض الروائي الفني في الجزائر،ويجمع الدارسون-أو يكادون- على أنها مرحلة تأصيل الرواية الجزائرية، فظهرت مجموعة من الأعمال نذكر منها:«ريح الجنوب» لعبد الحميد بن هدوقة، و«اللاز»للطاهر وطار،التي هي موضوع بحثنا، وقد وصفت هذه الرواية بأنها التجربة الروائية الجديدة المتقدمة في الفترة التي أعقبت الاستقلال، حيث مكنت الجزائريين من الانفتاح الحر على عوالم الرواية العربية المعاصرة.

أولاً:التعريف بالأديب والروائي الطاهروطار:

يجمع الدارسون-أو يكادون- على أن الأديب الراحل الطاهر وطار هو مؤسس الرواية العربية في الجزائر،فقد فرضت أعماله حضورها القوي سواءً في الجزائر،أو في شتى أقطار الوطن العربي،فالطاهر وطار هو الذي أوصل صوت الرواية الجزائرية إلى مختلف أصقاع الوطن العربي،وهو الذي عرّفهم بتحولات المجتمع

الجزائري،والمتابع لأعماله الروائية،والقصصية،والمسرحية يُلاحظ أنها تقدم رصداً شاملاً لأهم التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها الجزائر مدة ما يربو عن نصف قرن،وهذا ما جعلها تحظى باهتمام كبير من قبل النقاد،والدارسين،في الجزائر، وسائر دول المغرب العربي،وكذلك في المشرق،فأنجزت العديد من الدراسات،والرسائل الجامعية حول أدبه...

ولد الأديب الطاهر وطار سنة:1936م بدائرة «سدراتة» التابعة لولاية سوق أهراس، التي تقع بالشرق الجزائري،وتعود أصوله إلى أسرة بربرية بالسفح الأوراسي،ويتحدث الطاهر وطار عن أسرته فيقول: « إنه ورث عن جده الكرم والأنفة، وورث عن أبيه الزهد، والقناعة، والتواضع، وورث عن أمه الطموح، والحساسية المُرهفة».وبعد أن حفظ ما تيسر من القرآن الكريم بمسقط رأسه،التحق سنة:1950م بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمداوروش،وكان من طلابها المتفوقين الأوائل،وهذا ما جعله ينتقل إلى معهد الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة سنة:1952م، لدراسة العلوم الشرعية،وفي عام:1954م التحق بجامع الزيتونة بتونس، وقد بدأ رحلته مع الكتابة، وهو ما يزال في ريعان الشباب سنة:1953م،و نشر أولى قصصه عام: 1956م، في جريدة «الصباح» التونسية،ثم بمجلة «الفكر»،وأسهم مع نخبة من المثقفين بتونس في تأسيس أسبوعية«النداء»، ونشر فيها العديد من القصص،إضافة إلى عمله بجريدة: «لواء البرلمان التونسي»، وانضم سنة:1956م إلى حزب جبهة التحرير الوطني،وعمل عضواً باللجنة الوطنية للإعلام،ثم مُراقباً وطنياً بالحزب نفسه،وبعد استقلال الجزائر أسس أسبوعية«الأحرار» بقسنطينة،وهي أول أسبوعية تؤسس في الجزائر المستقلة،إضافة إلى أسبوعيتي «الجماهير»سنة:1963م،و«الشعب الثقافي» سنة:1973م،وذلك بعد انتقاله إلى الجزائر العاصمة،وقد ظل مُناضلاً في حزب جبهة التحرير الوطني إلى غاية سنة:1984م،وفي سنة:1991م شغل منصب المدير العام للإذاعة الجزائرية،فبذل جهوداً كبيرة في سبيل ترقية اللغة العربية.

ومن أهم أعماله الروائية نذكر: «الزلزال»،و«اللاز»و«الحوات والقصر»،و«الشمعة والدهاليز»،و«الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي»،و«الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء»،ومن أعماله المسرحية نذكر: «على الضفة الأخرى»،و«الهارب»،كما كتب العديد من المجموعات القصصية من بينها: «الشهداء يعودون هذا الأسبوع»،و«دخان من قلبي»و«الطعنات»،وقد حُولت قصة «نوة» من مجموعة (دخان من قلبي)،إلى فيلم من إنتاج التلفزة الجزائرية،وقد نال عدة جوائز،وحُولت قصة«الشهداء يعودون هذا الأسبوع»إلى مسرحية نالت الجائزة الأولى لمهرجان قرطاج الدولي،كما أنجزت حول أعماله الأدبية الكثير من الدراسات،والرسائل الجامعية،في مختلف الجامعات العربية،والغربية،وتُرجمت رواياته لأكثر من عشر لغات،وقد صدرت مذكراته سنة:2006م،تحت عنوان:«أراه».

كُرم الطاهر وطار العديد من المرات في الجزائر،من قبل مجموعة من المؤسسات الوطنية،من بينها:المكتبة الوطنية الجزائرية،والمجلس الأعلى للغة العربية، ومؤسسة ثقافة وفنون،وحصل على عدد من الجوائز،حيث نال الجائزة الأدبية الأولى في أواخر السبعينيات مناصفة مع المفكر الراحل عبد الله شريط[2]،كما كُرم العديد من المرات عربياً،حيث اختير شخصية العام الثقافية بمهرجان القرين بالكويت في دورته السادسة سنة:1999م،وفي سنة:2005م حصل على جائزة الشارقة لخدمة الثقافة العربية،وتوج بجائزة سلطان بن علي

العويس في دورتها الحادية عشرة2008-2009م،فرع القصة،والرواية،والمسرحية،وقد حالت وضعيته الصحية المتردية دون ذهابه إلى دبي لتسلمها،وتوفي بعدها بفترة وجيزة،يوم: الخميس 12 أوت2010م.

ثانياً:مدخل إلى عوالم الأديب والروائي الطاهروطار:

يرى ثلة من الدارسين،والنقاد، أن الأديب الروائي الطاهر وطار ينتمي إلى الاتجاه الواقعي الاشتراكي ،وعن تجربته مع الواقعية، والكتابة الثورية، والنضالية يقول وطار:«إنني أعتبر نفسي كاتباً مؤرخاً لحركة التحرر الوطني الجزائرية، والعربية، والعالمية،أو على الأقل من خلال حركة التحرر الوطنية الجزائرية،أتناول حركات التحرر الكونية،ولا أجدني راداً على أحد،وككاتب واقعي أستخدم شخوصاً لأشخاص موجودين سواءً سلباً أم إيجاباً،وأحياناً بأسمائهم الحقيقية...،إنني أعتبر هذا تجريباً في مجال الرواية،لأننا مللنا من الرواية الخيالية المحضة، والتجريدية،نريد أن نُقدم من خلال الرواية واقعاً فوق الواقع،وبين الواقع ،والخيال،ثم أنا أكتب من موقع مناضل يساري، وهبت كل حياتي لقناعاتي، ونجوت من الموت أكثر من مرة فلا أسلم ولا أستسلم» [2].

ويشير وطار إلى أن رواياته ليست منسجمة، ومنظمة مع زمن معين، ومتتبعة له بانتظام،فهو يؤكد على أن الزمن في كل أعماله تقريباً غير متسلسل، وغير خطي، والملاحظ في أعماله أنه يختلف،ويسعى إلى التميز من ناحية الشكل من عمل إلى آخر،كما يتسم بتحديث لغته الروائية من نص إلى آخر،وفي نظر الباحث محمد ساري فمعالم الحداثة الروائية تظهر عند وطار في قدرته على تكسير الزمن الروائي،وتفادي التكلف، والاقتراب من الكتابة الجديدة. وقد تساءل بعض الدارسين الذين تعمقوا في أدب الطاهر وطار،هل كان يكتب فعلاً لصالح التوجه الاشتراكي؟

وكثيراً ما تكتسي أعمال الطاهر وطار حلة إنسانية شاملة،فلا تعبر عن مجتمع معين،بل تتجاوزه إلى التعبير عن الإنسانية قاطبة كما تجلى هذا الأمر مع رواية«عرس بغل»، التي أكد الطاهر وطار في الكثير من حواراته على أن شخصياتها يمكن أن نجدها في كل مكان من العالم سواء من ناحية المضمون الذهني،أو المضمون التجسيدي،فقد سعى وطار في هذه الرواية إلى التعبير عن الطبقات المستغلة المضطهدة في سائر أقطار العالم،ويرى أحد الباحثين أن الطاهر وطار غير مجموعة من الأفكار الثابتة في الرواية،كما غير جزءاً مهماً من واقع الرواية العربية، وذلك من حيث إنه أوجد ما يُسمى بالبطل المضاد، والذي لم تعرفه الواقعية الاشتراكية من قبل،كما سعى إلى خلق الأسطورة من واقعه،ومن وقائعه دون اللجوء إلى التراث،كما أشاع نكهة المحلية العربية، ومحلية العالم الثالث في أعماله من خلال تقديم رؤية شمولية ثورية تعكس واقع هذا العالم المتخلف، وقد أسهم الطاهر وطار من خلال أدبه الروائي في التأسيس للاتجاه النضالي والثوري في الأدب الجزائري.

ومن بين الدراسات المتميزة التي غاصت بعمق في تجربة الطاهر وطار الروائية من مختلف الجوانب الفنية،والفكرية، دراسة الباحث إدريس بوديبة، الموسومة ب: «الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار» ،فهي واحدة من أهم الدراسات التي أنجزت عن أدب الطاهر وطار الروائي، حيث إنها تعد مساهمة ثمينة في دراسة أدب الطاهر وطار الروائي،لا يمكن أن يتجاوزها كل من يتصدى لدراسة أدب الطاهر وطار،حيث يقدم المؤلف دراسة جادة عن روايات الأديب الطاهر وطار،وهو يهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز مختلف المظاهر

المتعلقة بتحولات الرؤية الفكرية،والبنية الروائية،والكشف عن تطورها من نص إلى آخر من نصوص الطاهر وطار.

وعن دراسته يقول المؤلف:« تعاملت في دراستي هذه ،مع الشكل الروائي بوصفه بنية،تتضمّن رؤية متجادلة مع مرجعيتها الاجتماعية.وقد ساعدني على هذا أن الطاهر وطار ينتمي لصنف الأدباء القلائل،الذين لا يستقرّون على شكل روائيّ واحد،وقد حرصت في جميع الفصول،على تأكيد ظاهرة التحوّل الفني في الرّؤية والبنية،التي تحرّرت من هيمنة السرد التقليدي،لتنفتح على بنية السرد الحديث.وإن تطور الكتابة عند وطار لم يكن على مستوى الموضوعات فحسب،بل كان كذلك على مستوى الكتابة ذاتها.فقد طوّر أدواته،ولم يعد يقنع بالكتابة التي تقترب من الواقع وتكتفي برصد تحولاته الخارجية،فقد أصبحت الكتابة عنده تنطلق من داخل النص الروائي ذاته،لتلتحم بالذاكرة وعناصر الحلم والتاريخ،وسمح هذا البعد التجريبي الجديد للرواية،بامتلاك أدوات تعبيرية مغايرة،لقد كنت خلال هذه الدراسة أعود في كل مرة لأقوال الكاتب وتصريحاته الصحفية،وما أكثرها،لأدعم استنتاجاتي وطروحاتي،وأنا أعلم أنه ينبغي عليّ أن أحذر من المطابقة بين مضمون العمل الروائي،وآراء الكاتب.لذلك فقد وظفت تلك التصريحات بشكل انتقائي،ولم أنسق وراء كل التصريحات المضلّلة،لأن الهوّة كثيراً ما تكون واسعة بين ما يقوله الكاتب في تصريحاته،وبين ما تتضمنه النصوص الإبداعية من مواقف، ورؤى، وأشكال.

وفي الحقيقة إن ما قمت به في دراستي،هو محاولة للكشف عن بنية الشكل ومضمرات النص،وبهذا فإن الرواية الوطّارية،قد مرت بتحولات ظاهرة في رؤيتها وبنيتها،وذلك منذ البدايات الأولى التي كانت مفعمة بحرارة الواقع وحسّيته،انتهاءً بأعماله الأخيرة المنحازة إلى التجريد،والكتابة المركّبة التي تنحت عوالمها،عبر مكوّنات التّناص، والارتداد، والمثاقفة،والاشتغال على اللغة،التي لم تعد مجرّد استتباعات تطورية للنمط السابق،غير أن شيئاً واحداً لم يتغيّر في هذا المسار الروائي،فلقد ظل هاجس الموضوع السياسي يحتلّ فضاء هذه النصوص جميعها دون استثناء»[3].

وقد أجمل الباحث إدريس بوديبة السمات الأساسية التي ميزت المسار الروائي للأديب الطاهر وطار،وأبرز الأسباب الرئيسة التي جعلته يتبوأ مكانة مرموقة،ويصبح أحد أهم الأسماء الأدبية في الرواية الجزائرية، والعربية في جملة من النقاط الرئيسة من أهمها:

«1-قدرة وطار على الاستمرار في الممارسة الإبداعية،بطريقة شبه منتظمة،ليحتل بذلك الصدارة من الناحية الكمية والنوعية،ويتقدم كل الروائيين الجزائريين الذين يكتبون باللغة العربية.

2-يتمتع وطار بهاجس المغامرة الفنية،وتطويره المستمر لأدواته،والقدرة على تنويع بنيته الروائية،والانتقال من شكل إلى آخر بسهولة ويسر،مع الوفاء لموقفه الفكري العام،الذي يدعم رؤيته الشاملة لقضايا الكون والإنسان والحياة.

3-تندرج أعماله في سياقاتها المختلفة،لتؤرخ لكل التحولات والسّيرورات الحاصلة في المجتمع الجزائري،منذ الثورة المسلحة إلى الاستقلال،مع التركيز على الألوان المحلية للجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكأن الطاهر وطار أراد أن يكتب-روائياً-ملحمة الجزائر،ويحمل على عاتقه هذه المهمة التي لا تخلو من

انحيازات ذاتية واضحة، ولكنها انحيازات مشروعة إبداعياً،فمن واجب الأديب أن يعيد صياغة العالم،وتشكيله وفق وعيه ورؤيته الخاصة.

4-إن روايات وطار كانت باستمرار مصدر افتتان وغواية،في موضوعاتها بالنسبة لعدد كبير من الروائيين،الذين أعادوا صياغتها وفق منظوراتهم الفكرية والفنية المختلفة،ويعود هذا لقدرة هذه الروايات على استقطاب الأحداث الاجتماعية،وامتلاكها للوعي بالواقع والكشف عن نوعية العلاقات التي تتحكّم في سيره،وبلوغها درجة عالية من النمذجة، والانسجام»[4].

وحسب منظور الباحث فالإغراءات الإيديولوجية ،والفنية التي قدمتها مدرسة«الواقعية الاشتراكية»لوطار،كانت السبب الرئيس الذي صبغ أعماله بالحركة التلقائية، والرؤية الشمولية،وهي التي منحته المقدرة على إدراك العلاقة الجدلية التي تربط الفرد، وأفكاره، وعواطفه بالحياة وصراعات المجتمع، وذلك دون السقوط في الخطابات التبشيرية المسطحة التي تلتزم تمجيد البطل الإيجابي الذي يؤثر في الواقع،ويغيره إلى ما هو أفضل باعتباره نموذجاً لبطل المستقبل[5].

ثالثاً:تحليل رواية(اللاز):

أ-مضمون الرواية:

تسلط رواية(اللاز)للطاهر وطار الأضواء على إسهامات الشيوعيين في الثورة الجزائرية، وعلاقتهم بالتحرر الوطني،ويشير الطاهر وطار إلى أنه قد بدأ التفكير في كتابتها سنة:1958م،وذلك بعد فترة وجيزة من الإعلان عن الحكومة الجزائرية المؤقتة،وقد انطلق في كتابتها في شهر مايو من سنة:1965م.

تنطلق الرواية بالحديث عن (اللاز)،فهو شاب لقيط لا يُعرف له أب، وقد انضم للثورة الجزائرية،بعد لقائه بزيدان،الذي سبق ،وأن رحل للخارج بغرض التعلم،والعمل،وهو شاب متحمس للثورة الجزائرية،ولديه أفكار عميقة، ومنهجية تتسم بالتنظيم عن الثورة، والوطن، والتحرير،وقد ارتقى تدريجياً حتى صار من كبار قادة المقاومة الجزائرية، إبان الثورة التحريرية، وقد سعى وطار في هذه الرواية إلى توضيح رؤية الثورة الجزائرية إلى مختلف الجوانب، والجهات الأخرى،حيث إنها سعت إلى تصفية اليسار،أي الشيوعين، كما قضت على كثير من المتطوعين من الجنسيات الأخرى، حيث أجبرتهم على التخلص من أفكارهم السياسية السابقة، ولأن قضية النضال ضد الظلم ،والمُستعمر عالمية، فقد انضم إلى المقاومة الجزائرية إلي جانب المجاهدين الجزائريين عدة أفراد ينتمون إلى أحزاب شيوعية إسبانية، وفرنسية من الأوروبيين، إلا أن نضالهم يذهب هباء منثوراً ،ويضيع سدى،و لا يُقبل منهم في النهاية،وهذا ما سعى وطار لإلى توضيحه، وتجليته في عمله الأدبي،فهو يروم كشف الحج عن هذه القضية، وإماطة اللثام عن شتى أبعادها.

وقد أبرزت الرواية مجموعة من الصور،وسلطت الضوء على جملة من المتناقضات،وصورت مختلف التحولات النفسية التي عرفتها التركيبة الجزائرية في مرحلة النضال، فبعد أن يُلقى القبض على اللاز، يعذب تعذيبا شديداً من قبل السلطات الاستعمارية، بيد أن المجاهدين يُساعدونه على الهرب،ويُخلصونه من التعذيب، فينضم إلى الثوار المناضلين في الجبل، وبعد اكتشاف هروبه من قبل السلطات الاستعمارية، تقوم القوات الاستعمارية بجرائم فظيعة،وينتقلون إلى القرية، إلى بيت قدور تحديدا، ويجعل(بعطوش)، وهو واحد

من الخونة،الذين ينفذون تعليمات الاستعمار، وسيلة لقتل والدة (اللاز)، واغتصاب خالته أمام الجميع ، وينفذ بعطوش الخائن،ما يؤمر به ،وما يطلب منه،وذلك حتى تتم ترقيته إلى درجة (سارجان)، وهي رتبة عسكرية فرنسية،وبعد فترة يقتل خالته، وكأنه يغسل عارها،وبعد مدة يُصاب بانهيار عصبي،وبعد عودته إلى صوابه يغير مواقفه، ويقرر قتل الضابط الذي أمره بالقيام بذلك الفعل،ويقوم بعد فترة بتفجير منطقة تجمع البنزين في المعسكر الفرنسي، ويقوم بنقل الذخائر المتبقية والأسلحة إلى الخارج،وهذا ما يجعل الثوار يتراجعون عن قتله بعد أن كان الأمر قد صدر لهم بتصفيته باعتباره خائنا[6].

ب-المفهوم الشعبي للعنوان:

إن الثروة التراثية التي تم توظيفها من قبل الروائي الطاهر وطار في روايته (اللاز)، يُمكن أن نبدأ في حصرها انطلاقا من عنوان هذا النص فلفظ (اللاز) له دلالات،وأبعاد شعبية قوية ،إذ إنه يُعد لفظا عاميا، كما أنه اعتبر ترجمة ،ونقلا حرفيا للفظ الفرنسي، وهذا اللفظ له مجموعة من الدلالات والمعاني،إذ أنه كان يطلق على الوجه الواحد" لحجر لعبة النرد" ،أو" لعبة الورق"، كما أن هذا اللفظ عرف بتميزه بنقطة، أو علامة واحدة أما على المكعب الحجري لعبة النرد أو على الورق المقوى في لعبة الورق.

فهو إذن من مصطلحات المقامرين طلبا للربح والكسب والتماسا للتسلية وإضاعة الوقت ثم انتقل هذا المعنى من مجال اللعب إلى مجال السلوك الاجتماعي والحضاري لشخص ما، داخل مجتمع ما،مع أشخاص ما[7].

وفي العامية الجزائرية يطلق لفظ (اللاز) على الشخص الذكي الذي يتميز باللباقة، أو الفرد الذي يكتسي بشخصيته نزعة شيطانية، أو الشخص الذي تتطير منه، وأما في المعاجم الفرنسية يعني هذا اللفظ الشخص الذي يمتاز بتفوقه في مجال ما، أو الفرد الممزق الثياب، أو الذي كانت هيئته مزرية.

يعني هذا أن اللفظ ذاته له دلالات شعبية، من حيث الشكل، والمضمون، والدلالة. فقد تعمد المؤلف اختيار لفظ (اللاز)، وجسده، بصفته عنواناً رئيساً،وأساساً لهذا النص السردي، نظراً لما له من دلالات قوية، إضافة إلى سهولة فهمه ،وتداوله بين الناس في المجتمع الجزائري الخاص.

ج-تحليل شخصيات رواية(اللاز):

إن الفرضية التي ننطلق منها في قراءتنا لرواية (اللاز) تشير إلى أننا نتعامل معها كرواية رائدة، خطت أولى خطوات التأصيل الحقيقي للنهوض بالخطاب الروائي الجزائري، حيث نلفي أن الموضوع المطروق يتسم بالغنى، ولاسيما، من حيث المضمون التاريخي، والوقائع، والشخوص، فالثورة هي الهاجس المركزي الذي يشكل فضاء (اللاز)، ويُحيل على مرجعية الأحداث[8].

وتُعد رواية(اللاز) المصدر الإلهامي، والدافع للعديد من الروائيين، كما تقدم لنا الرواية نموذجا أوليا للواقعية الملحمية في الجزائر، حيث يقول إدريس بوديبة: « إن رواية اللاز تعود بنا إلى بطولة المرحلة المتمثلة في الثورة الجزائرية المسلحة، تقدم لنا موقفا مغايرا ومعارضا للبطولات السائدة،وتكشف لنا عن التناقضات الخفية داخل مؤسسة الثورة»[9].

ونشعر منذ الوهلة الأولى أن "وطار" تسلح برؤية خاصة ينظر من خلالها للشخصيات، وفعلها في الأحداث ،وانفعالها وتفاعلها معها، وهذا نجده في التوطئة التي يقول فيها: « إنني لست مؤرخا ولا أعني أبدا أنني أقدمت على عمل يمت بصلة كبيرة إلى التاريخ... » [10]. فحسب قول صاحب الرواية كأنه قام بعملية تكييف وانتقاء وقائع دون الأخرى، ويبدو أن الشخصيات متأثرة بمنظوره الفكري والفني، وهذا ما سنجده مثلا في شخصية زيدان واعتناقها للفكر الماركسي، ومن هنا نستدرج في التحدث عن الشخصيات، والتي تنقسم إلى نوعين: أشخاص رئيسة وأخرى ثانوية، وسنبين فيما يلي أسماءهم وأدوارهم بحسب أهميتهم في تفجير النسيج الروائي.

د-الشخصيات الرئيسة في رواية(اللاز):

1-زيدان:

يمثل صورة ،ورمز المناضل المشبع بقناعات سياسية صارمة، سافر إلى فرنسا عندما كان شابا وهناك التقى "بسوزان"، تعلم بعد أن كان أميا ذهب إلى موسكو، وبعدها تأثر بالفكر الماركسي وتبناه، ثم عاد إلى الجزائر، والتحق بالمقاومة المسلحة ليجد نفسه في منصب قيادي للثورة، وبعد فترة يلتقي زيدان باللاز، وهو في الحقيقة نتيجة ثمرة علاقته بابنة عمه مريانة، حيث يعترف له بأبوته خلال الرحلة التي جمعتهما، من هنا يتحرر(اللاز) من عقدته، ومع مرور الزمن تشتد الخلافات السياسية بين زيدان، وقادة الجبهة، التي تخيره بين الاندماج فيها، والتخلي عن حزبه، أو القبول بتنفيذ حكم الإعدام،فيختار الموقف الأخير، ويذبح مع مجموعة من الشيوعيين الأوروبيين، الذين التحقوا بالثورة الجزائرية أمام أعين(اللاز) [11]،وقد مثلت شخصية (اللاز) صورة ذلك الشخص المضاد،والمناقض للواقع،الذي يحمل توجهاً مختلفاً عن السائد،وقد أدى به اختلاف توجهه إلى الموت ذبحاً،ولعل الطاهر وطار يكون قد وظف هذه الشخصية ليوجه انتقادات لمن قاموا باضطهاد الشيوعيين إبان الثورة التحريرية،وكأنه يريد القول إن بعض قادة الثورة لا يحترمون الرأي الآخر.

2-اللاز:

تبدت شخصية (اللاز) شخصية متمردة، ومنبوذة اجتماعيا، و ينظر إليه المجتمع نظرة ازدراء، واحتقار، لأنه لقيط ،وخائن وفق منظورهم، فهم يتمنون موته والتخلص من شروره، وأعماله السيئة، دخل السجن مرات عدة «لا يفارق أبواب وساحات المدارس، يضرب هذا، ويختطف محفظة ذاك، ويهدد الآخر إن لم يسرق له النقود من متجر أبيه، أو الطعام من مطبخ أمه» [12]،حيث إنه يحاول أن يثبت وجوده بتصرفاته الصبيانية السيئة، هذا في الظاهر، لكن في باطنه قصد لفت الانتباه له، لكن بعد أن تعرف على أبيه تغير مجرى حياته، وانضم إلى الثورة مناضلا، لكنه في الأخير يُصاب باختلال عقلي نتيجة رؤيته للمشهد المروع الذي تعرض له والد زيدان،وقد جمعت شخصية(اللاز)جملة من المتناقضات، وفي هذه المتناقضات،تظهر مجموعة من الدلالات،حيث أبرز الطاهر وطار الأضرار الجسيمة الناجمة عن بشاعة الجرم الاستعماري،كما أوضح العاطفة الجياشة للشخص تجاه الثورة، مهما كانت ظروفه،وأوضح تأثره الشديد لما وقع لوالد زيدان،حتى أدى به هذا الأمر إلى فقدان عقله.

3-بعطوش:

أما بعطوش فقد بدت لنا صورته على أنه شاب فقير، له أحلام، وطموحات مريضة نتيجة مركب النقص الساكن في نفسيته، كان يرعى الغنم ،ثم تحول إلى مجند بالثكنة، فهو من أجل تحقيق أحلامه لا يتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم، حيث قتل أم اللاز مريانة ،وأحرق الشيخ الربيعي، وهو الذي أفشى للضابط سر تعاون اللاز مع الثورة، وبعدها شعر بالذنب ،فالتحق بالثورة ،وقام بتهريب كل المساجين من الثكنة،وقد لعبت شخصية بعطوش دور الشخص الذي ينقض سلوكاته الأولى،حيث إنه شعر بجلل ذنوبه،وخيانته لوطنه،فطفق يقوم بسلوكات مناقضة لممارساته الأولى تكفيراً عن ذنوبه، وولاءً لوطنه،وحتى ينقض خيانته الأولى، وهذا ما جعل الثوار يعجبون بأعماله،ويعفون عنه بعد أن أهدروا دمه.

4-حمو:

حمو هو صديق قدور، أخ زيدان، يعمل في فرن الحمام وسط ظروف شاقة، ليعيل أمه، وزوجة أخيه، وأطفاله الثمانية، مقابل أجر زهيد، وإلى جانب هذا فهو لا يكاد يستريح من عناء عمل حتى يتجه إلى تمضية ما بقي من الوقت مع بنات المعلم الثلاث: دايخة،ومباركة، وخوخة، ولكن حمو لم يلبث أن ترك هذه الحياة التعيسة بكل ضنكها ،وآلامها،ومآسيها، والتحق بأخيه زيدان لينضم إلى صفوف الثورة، وأصبح قائدا لإحدى القرى الفدائية، ولكنه عاد بعد الاستقلال إلى القرية، ليصبح مجرد مجاهد بسيط دون عمل، لا يملك شيئا سوى شرف الانتماء إلى الثورة[13]،ويبدو أن الطاهر وطار قد وظف هذه الشخصية لإبراز آلام، واجتهاد،وكفاح الطبقة الكادحة،كما عبر من خلالها عن التحولات التي حصلت بعد الثورة،وبعد أن قدم حمو كل ما يملك للثورة،وبعد الاستقلال لم يجن أي شيء ،سوى أنه تحول إلى شخص مناضل بسيط.

5-قدور:

هو ابن الشيخ الربيعي،وقد ظهرت شخصيته على أنه شاب ميسور الحال، وكل طموحاته تتمثل في جمع المال ،والزواج بفتاة أحلامه زينة، يعمل في دكان والده، حيث يبيع المواد الغذائية، لكن مع مرور الزمن يضطر إلى الفصل في موقفه: إما أن يكون مع فرنسا ،أو مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية، واختار هذه الأخيرة فكان يعمل بطريقته الخاصة مع الجبهة ،إلى أن أفشي سره، فالتحق بالثورة، واستشهد ،وهو ينقل اللاز جريحا[14]،وقد وظف الطاهر وطار هذه الشخصية لتجلية صورة،وإسهامات الطبقة الغنية في ثورة التحرير الجزائرية،وكأنه أراد أن يقول إن الثورة التحريرية شاركت فيها جميع الطبقات الاجتماعية، ولم تكن حكراً على فئة محددة،وقدور هو دليل على مشاركة هذه الطبقة في الثورة،وقد قدم أغلى ما يملك لوطنه،إلى غاية استشهاده.

هـ-تجليات التراث الشعبي في رواية: (اللاز)

إن المثل الشعبي كالكائن الحي يعيش، وينبض بالحياة، حين يوضع في الإطار المناسب للرواية، ينسجم معها ويضفي عليها تفسيرات وخصوصيات عديدة، ولقد وظف الطاهر وطار المثل الشعبي بهدف خدمة أغراض إيديولوجية من جهة، ولأسباب فنية من جهة أخرى، فمحمولية توظيف المثل الشعبي في اللاز في عمومها أخذت منطلق الفكرة الاجتماعية القائلة: بأن الشعب هو الوريث الأوحد لجميع الإبداعات، والمكتسبات التي يحققها أبناء الأمة من بطولات، وأشياء خيرة تتراكب عبر الأزمان ،والحقب لتصب في الوادي نفسه،وقد اعتمد هذا النص

السردي على السرد المباشر، وهو الجانب الذي يُساعد الأمثال الشعبية على النمو، لتصير رافدا للأفكار التي جهزها الكاتب، ويزخر النص بالحكم، والأمثال الشعبية، التي بلغت أحد عشر مثلا، ولعل أكثرها تداولا في النص حيث أضحى كأنه عنوان لرواية اللاز، المثل القائل:" ما يبقى في الواد غير حجاره" . والذي تكرر ثلاث عشرة مرة، حيث نلاحظ أن مسار النص يأخذ منعطفا أعمق من هذا التعليق الذي يذيل به "حمو"، على المثل الشعب، حيث نلتقي به في مشهد" وملأ صوت هادر من الخارج القاعة"[15].

ما يبقى في الواد غير حجاره، وكأن الصوت الهادر هو صوت الماضي التليد الذي صرخ بقوة في مخيلة الشيخ الربيعي، يستحثه على تذكر كيف كان هذا الشعب وكيف عاش تحت القهر والتسلط وكيف أصبح الآن؟، وهل بقي الاستعمار الذي يملأ الوطن (الوادي) طولا وعرضا؟ هل بقي منه شيء بعد أكثر من قرن وربع قرن، وشبه الشعب بحجارة الوادي، الذي لا يعرف الزوال، أما في موقع آخر فلها معنى آخر أن مايبقى غير الصح وهو الشعب.

وكذلك مثل شعبي آخر، ذكر مرتين في مشهدين متباعدين، وهو القائل: "كي تجي تجيبها شعرة، وكي تروح تقطع السلاسل" [16].

و-توظيف الشخصية الثورية وأزمتها في رواية: (اللاز)

الملاحظ أن نموذج الشخصية الثورية ،والنضالية كثيراً ما نُلفيه مُجسداً في أعمال الطاهر وطار،ولم يكتف وطار بعمل واحد، أو اثنين،بل إنه تكرر عدة مرات، وقد حضر نموذج الشهيد البطل الثوري المدافع عن وطنه في رواية:«العشق والموت في الزمن الحراشي»،وقد تجسد حضوره من خلال شخصية اللاز ،حيث إنه في كل مرة يسعى إلى كتابة رواية ثورية يُسجل من خلالها مسيرة الثورة«من مرحلة الكفاح والتحرير إلى مرحلة البناء والتشييد،وما اعتورها أثناء كل ذلك من نجاحات وإخفاقات،فكان المجاهد حاضراً، وكان الشهيد أيضاً،وكان(اللاز) الأول،وكان(اللاز)الثاني،حيث هو في حقيقته-كما يشهد له أبوه(زيدان)معترفاً ببنوته له:ولو لم يكن شرعياً... ولو لم يكن شرعياً..ابني ابن كامل الدوار،ابن جميع الناس،ابن ذلك الزمن ابن ماضينا كله، وكأنما هو إحساس(وطار) بنقص(اللاز)وقصوره كنموذج ينبغي أن يجسد رؤية أو يحمل فكرة،ويكرّس نظرية، وكذا شعوره-ككاتب-بعدم نضج تجربته هو كفنان،وكذلك كون(اللاز)الأول يمثل مرحلة الثورة،أو عاش تلك المرحلة،فأراد له ألا يموت شهيداً كبقية الشهداء، وألا يعيش زمن الاستقلال كبقية الشعب والمجاهدين، ولكن يعيش بالصفتين معاً،فهو مجاهد وشهيد،وهو حيّ وميت،حاضر وغائب في آن واحد،ولهذا جاء في رواية (العشق والموت في الزمن الحراشي) التأكيد على حضور هذا النموذج، واستمرار التيار الإيديولوجي الذي عمل على بثه في الرواية الأولى، وكانت شخصية(زيدان) حاملة له، وعملت على نقله إلى(اللاز) ابن(زيدان) ف(اللاز) بمعنى آخر جسد كبير تختبئ فيه أرواح جميع الشهداء، وهو إذا كان ذاكرة هذا الشعب،فهو كذلك حاضره الذي ما يزال يبحث عن طريقه لبناء مجتمع الاشتراكية والعدالة،وهو-أي الروائي- لذلك وفيّ للواقعية الاشتراكية التي تؤمن باستمرارية النضال، وضرورة تلاقي الأجيال، واتحادها حول المبدأ الواحد في سياق الثورة الدائمة،وإذا كان(زيدان) قد أعدمته الثورة،فقد بقيت أفكاره ،ومبادئه، ومثله محمولة في شخص(اللاز)الابن الوريث الشرعي،كما بينته رواية (العشق والموت في الزمن الحراشي)، وحتى(اللاز)نفسه قتلته ثورة التحرير،أو لنقل إنها

أفقدته عقله أو غيبته عن الواقع، ونقلته من حال الوعي إلى حال اللاوعي،أو ما قد نسميه –تجاوزاً-(ما فوق الوعي)باعتبار أن ما بين الجنون، والعبقرية كمقدار شعرة»[17].

لقد سلطت رواية (اللاز)الضوء على الثورة الجزائرية، وذلك انطلاقاً من رؤية أيديولوجية جمع فيها الطاهر وطار الأيديولوجية الشيوعية التي تجسدت من خلال شخصية(زيدان)،وبين التوجهات الوطنية الثورية التي مثلها حزب جبهة التحرير الوطني الذي فجر الثورة التحريرية سنة:1954م، و قد سعى الطاهر وطار من خلال رواية(اللاز) إلى كشف النقاب عن مرحلة مهمة من الحياة النضالية للشعب الجزائري،وقام بتحليلها بعمق من حيث إماطة اللثام عن صراعات أيديولوجية معقدة، وتوجهات متباينة،ومن خلال تحليله للبعد الثوري والعقائدي في الرواية يقول الدكتور جودت الركابي: « هناك مشاهد وفصول لا يمكن نسيانها تتجلى فيها الثورية بأجلى مظاهرها،فهناك أبطال حقيقيون تحملوا العذاب في سبيل مبادئهم.وما "اللاز"إلا واحد منهم،ولن أتحدث عما تحمله من عذاب فظيع أمام الضابط الفرنسي المأفون، وبقي صامدا لا يعترف ،مبرهنا بذلك على ثورية الثورة ،وثورية رجالها.وقد قام هؤلاء الرجال بأعمال بطولية استطاع الكاتب أن يصورها أبرع تصوير،من ذلك هروب"اللاز"من الثكنة بعد الملازم ستيفان الذي كان يتولى حراسته،وخروجه مع رفاقه المناضلين،وعلى رأسهم الكابران رمضان،الذي جاءوا لإنقاذه في عملية بطولية تهز المشاعر وتجعل القارئ يتتبعها بشغف واضطراب، وإعجاب، لاسيما عندما يجتاز المناضلون عددا من المخاطر، والعوائق، من بينها مركز الرقابة الشائكة ،وليس سوى التصميم وسوى الخنجر سبيلا لإزالة كل عائق.

كل هذا وغيره من المشاهد يشحن القصة بالثورية وبالعنف كما يشحنها بالعقائدية والمذهبية التي كان ينطق بها زيدان وتتجلى في شخصيته وتجعل القصة ذات بعد فكري يدعو إلى التحرر والاشتراكية»[18].

ويذهب الباحث إدريس بوديبة في دراسته لأزمة البطل الثوري من المنظور الواقعي في رواية«اللاز»للطاهر وطار، إلى أن الفرضية التي ينطلق منها في قراءته لهذه الرواية هي أنها رواية رائدة خطت أولى خطوات التأصيل الحقيقي للنهوض بالرواية الجزائرية،وذلك في إطار البحث عن موضوع كلاسيكي رصين غني بمضمونه التاريخي المعاصر،ومحتشد بالشخوص،وبمختلف الدلالات، والوقائع الممكنة، والمحتملة الحدوث،إذ أن الثورة الجزائرية هي الهاجس المركزي الذي شكل فضاء هذه الرواية،وأحال على مرجعية أحداثها.

وقد سعى المؤلف من خلال مبحثه هذا إلى الإجابة على مجموعة من الأسئلة من أبرزها: هل نجح وطار في صياغة عناصر ملحمته الروائية،والارتفاع بها إلى مستوى الإبداع الرفيع؟وهل قدم لنا قراءة فنية جديدة لحقبة تاريخية معينة؟ أم اتخذ من الرواية مجرد قالب يبث فيه بعض المعارف، ويشحنه بالوقائع والأحداث التاريخية،ليعبر عمّا أثارته هذه الملحمة الثورية في نفسه من انفعالات وآراء؟

وقد رأى أن الطاهر وطار تسلح برؤية خاصة ينظر من خلالها للشخصيات، وفعلها في الأحداث،وانفعالها وتفاعلها،حيث إنه قام بعملية تكييف لها،وقد تأثر تصويره للشخصيات بمنظوره الفكري والفني،وهذا ما انعكس على بناء الرواية، وقد قدم الطاهر وطار رؤيته من خلال بعدين:بعد ينسحب على موقفه من أحداث التاريخ(الماضي)،وبعد ينسحب على موقفه من أحداث الحاضر،وفي نظر المؤلف أن الطاهر وطار تميز بحس ورؤية تاريخية ثاقبة،ومن خلال رواية«اللاز» أعطى لشخصية«زيدان»صفة البطولة والمثالية المطلقة، ولاسيما في

نهاية الرواية،بيد أنه ظل متمسكاً بحاسته المتشككة في الإيديولوجية الماركسية،وشرعية استمرارها وتواصلها،وفي سياق دراسته للبنية الكلاسيكية في روايات الطاهر وطار قدم الباحث دراسة عن المتكأ الإيديولوجي ورؤية الواقع في رواية:«العشق والموت في الزمن الحراشي» فهي تعتبر الجزء الثاني من المشروع الروائي الذي بدأه الطاهر وطار،وهي واحدة من المؤشرات الهامة التي تحيل على المرجعية الفكرية والإيديولوجية للكاتب، ولاسيما في المرحلة الأولى من كتاباته الروائية،وهي المادة الخام للكتابات التي ظهرت فيما بعد،وقد علل المؤلف هذا الحكم بأن الطاهر وطار واحد من الكتّاب الذين تأثروا بالوضع التاريخي وعايشوه،فكانت كتاباته صورة له،وهذا ما يفسر كذلك هيمنة الجانب الإيديولوجي والفكري على الجانب الفني في بعض أعماله الروائية ، وبخاصة العملين الأولين(ثنائية اللاز).

بين المؤلف أن الإطار الذي تجري داخله أحداث الرواية يتشكل من بنيتين زمنيتين:بنية زمنية خارجية،وبنية زمنية داخلية،وقد تميزت هذه الرواية بأسلوب الخواطر، والمونولوج الداخلي،والحوار مع الكاتب،ولم يهتم الكاتب بتطور الزمن،بل اهتم بالفكرة، وهذا ما لوحظ من خلال الخطاب المباشر الموجه إليه،وتعددت الخطابات بتعدد الرؤى التي حوتها الرواية،واتضح للمؤلف أن المكان في هذه الرواية لا يشكل عنصراً جمالياً هاماً،بل تجده يذكره كضرورة موضوعية يتطلبها الحدث أو الشخصية.

رأى الباحث في دراسته للأنساق الدلالية ونظام بنائها في رواية«الزلزال» أن وصف المكان ومكوناته خضع لرؤية الراوي،حيث أضفى عليه تكويناته، ومنظوراته على الأشياء الموصوفة مُسقطاً عليها وعيه، وهذه الطريقة في الوصف تحمل في ثناياها بقايا الأسلوب الكلاسيكي على الرغم من أن الطاهر وطار سعى إلى أن يتخلص منه بمقدار كبير في رواية«الزلزال»، وقد ألفى مادة خصبة في البنية الاجتماعية المليئة بالأشياء التي تناولها بالعرض والوصف،ولاحظ أن الزمن أثر تأثيراً واضحاً في المكان،وهذا ما جعل القارئ يحس مظاهر التغير، والتحول، والتدهور،كما أن بنية المكان بدت منغلقة، ومضغوطة بفعل الاكتظاظ والحرارة، والضغط النفسي الذي يعانيه البطل،واقتصر الطاهر وطار على الوصف الخارجي للمدينة،ولم يهتم بوصف المنازل والبيوت من الداخل، ومزج بين طريقة الوصف الساكن، والوصف السردي، واقتصر على أسلوب الوصف العام الخالي من المصطلحات الفنية.

وخلص المؤلف في ختام دراسته إلى أن«الرؤية الوطارية في هذه الرواية تعتمد على ملامسة اللحظة التاريخية،التي تقدَّم بديلاً آخر،ليسأل النظام السياسي القائم نفسه من خلالها،لأنها تنطلق من الأبعاد الافتراضية،السوسيو-تاريخية،المشكّلة للواقع،والطامحة إلى تخطِّيه،وخلق زمنية تخييلية أخرى مقترحة،ولكننا نرى أن وطار قد قدم رؤية منحازة ومباشرة،ولذلك انطوت روايته على دلالات محدّدة الأبعاد،ولم تترك مجالاً لانفتاح النص على مختلف الأسئلة الممكنة والمشرّعة على الآخر والمستقبل،ويعود هذا أيضاً إلى غياب الرمز المتعدّد المستويات،الذي يندمج في التواشجات التأويلية،ويغني الخطاب الروائي الذي يعلو على الواقع الفعلي،ويتماهى معه دون أن يكونه،كما اتجه الطاهر وطار بروايته وجهة تسجيلية وقائعية،تعتنق التأريخ،وتعتبره مهمتها الأساسية،وكأن هذه الرواية هي نوع من التدوين لحقبة تاريخية من استقلال الجزائر،فحتى اللغة تخلو من الجرعات الشّعرية والشّطحات الفنية التي تشعرنا وكأننا أمام عمل توثيقي

يستنطق الشخوص،لتقويلهم ما يريد الكاتب قوله،لذلك برزت بقوة هيمنة وطار على النص بوسائل فكرية،وهذا على حساب التّراجع الواضح للوسائل التقنية، وما تحمله من أبعاد جمالية وفنية،وعلى الرغم من كلّ المآخذ،فإن هذه الرواية ستظل وثيقة أدبية هامة ،مكتنزة بمختلف الأحداث والسلوكات، والظواهر السياسية والاقتصادية التي أنجبتها السبعينيات بكل إيجابياتها وسلبياتها »[19].

رابعاً:الخصائص الفنية في رواية(اللاز):

إن قارئ رواية(اللاز) يلمس بسهولة«ذلك الانسجام والترابط بين شخصياتها وأحداثها،إذا كان على بينة من الأفكار و الاتجاهات التي كانت تسود الجزائر قبل الثورة،وعلى اطلاع واسع على ما كان يتعرض له الإنسان العربي في الجزائر من اضطهاد وظلم من الاستعمار وأذنابه،وهي المضامين التي تشكل شبكة العلاقات الاجتماعية التي تربط بين شخصيات هذه الرواية،التي يتجلى في بعض جوانبها البعد الاجتماعي بمآسيه، وذلك بتصوير حياة الناس عامة والمناضلين خاصة، وعلى الخصوص الذين نبتوا من طبقة فقيرة،كاللاز،وحمو، وقدور،الذين قادوا النضال ضد الاستعمار بروح وطنية،وبالقتال وسط بحر من الدماء،لا عن طريق المداهنة السياسية،وبذلك كانت هذه الشخصيات تمثل الشعب في عفويته وبساطته وثوريته،بينما بقي(زيدان)منعزلاً ومنفرداً من كل هذه الأحداث، وحتى عن اللاز ابنه،في نهاية الرواية،ونعتقد أن هذه العزلة آتية من نوعية الطرح الفني الذي اعتمده(وطار)،حين جعل الجانب التنظيري لدى هذه الشخصية يطغى على الجانب العملي بدافع من التعاطف معها، والترويج لها.فنلاحظ بروز فكر(زيدان)من السطر الأول للرواية،في نفس الوقت الذي لا يظهر هو على مسرح الأحداث إلا بعد ثلث صفحات الرواية تقريباً، وذلك عندما يلتقي باللاز صدفة في محطة القطار،أما وجوده الثوري فلا يبدأ إلا من الثلث الأخير»[20].

والملاحظ كذلك من خلال رواية(اللاز) أن الطاهر وطار قد قدم رؤية فكرية عميقة تحمل جملة من الدلالات والأبعاد ونجد«هم الكاتب منصباً على الأبعاد النظرية لهذه الشخصية،هذه الأبعاد التي نمتها دراسته واطلاعه،والتي جعلته يقول عن الثوار الذين كانوا معه:(..وإن كان ينقصهم التفكير الواضح –هو الجانب النظري في عملية الثورة-).. لا تنقصهم الجرأة، وروح التضحية والفداء.

ومن أهم نتائج هذه الأبعاد،نظرته إلى الثورة التحريرية من منصة عالية،يلقي من فوقها خطبة عن الثورة،وعن الاستعمار،وعن الإقطاعية والبرجوازية، وعن الفكر الديني،ووسيلته في كل ذلك الأساليب الافتراضية لحالات واقعية فعلاً، ويعاني منها الشعب كله،وذلك كقول اللاز(..يجب أن يفهم الناس أن فرنسا ليست خطراً على المقاومين في الجبال فقط،بل على جميع الناس).إن رؤيته هذه هي صورة حية للواقع الفكري الذي كان سائداً قبل الثورة، وفي بدايتها، والذي كان يشكل عنصراً هاماً من عناصرها المتنوعة التي تمحورت حول نوع الثورة التي يجب أن تكون في الجزائر،هل هي ثورة مسلحة أم ثورة فكرية سياسية؟وإذا كان(الشيخ) يمثل الجبهة،وبالتالي يمثل الاختيار الأول، فإن (زيدان) يمثل الاختيار الثاني،لأنه كان يركز بقوة على الوعي، وضرورة سبقه على العمل المسلح لدى الطبقات الكادحة،ناهيك على أنه لم يطلق رصاصة واحدة، أو ينظم اشتباكاً واحداً مع العدو خلال الرواية كلها،مثل ما فعل اللاز وحمو وقدور.وإذا كان(الشيخ) يمثل حسب رأي الكاتب،اليمين والجبهة، وزيدان يمثل اليسار،والفكر العلمي المادي،ثم اللاز وحمو وقدور يمثلون الشعب

الأمي،فيمكننا اعتبار رواية(اللاز) ذات نسيج اجتماعي تبلور خلاله صراع إيديولوجيات مختلفة،أظهرت على السطح أزمة المثقف الجزائري التي بدأت تلوح بوادرها بعد الحرب العالمية الأولى،نتيجة لتغير اتجاه النضال الجزائري نحو الفكر و الإيديولوجيات بدلاً من العمل المسلح،ولقد ظهرت هذه الأزمة جلياً في زيدان الذي كان يتعامل مع الثورة بلغة غريبة »[21].

ونجد أن الطاهر وطار قد ركز في هذه الرواية على أسلوب الارتداد، وهذا ما ظهر في بنائه للرواية، حيث نظم الرواية كلها«على أساسه،الشيء الذي دفعه إلى عدم إعطاء أهمية كبيرة لعنصر الزمن الذي بدا متداخلاً تتحكم فيه تعرجات الحالة النفسية للشخصية،وتسيره رؤية الكاتب الإيديولوجية، وبفضل هذا المزج بين الأجزاء الزمنية المتناثرة، وبين أسلوبي الارتداد والحوار ابتعد الروائي في بناء شخصية زيدان عن الأساليب الخطابية في سير أغوار الشخصية، وتطور الأحداث،في نفس الوقت الذي أغراه باعتلاء منبر الخطابة السياسية والأيديولوجية،مما كان له تأثير واضح على إبعاد هذه الشخصية عن الأحداث الثورية التي تضمنتها رواية اللاز،ويتجلى ذلك حين لا نجد لزيدان أي دور في بناء الأحداث وتطورها،بل كان دوره ينحصر في محاولة التفاعل معها،ومسيراً منها بدلاً من مسير لها أو صانع لها...مثل التجنيد الإجباري الذي كان السبب المباشر في إبعاده عن وطنه، وهجوم المستعمر على القرية هو الذي هيأ له سبل إنجاب اللاز،كما كانت سوزان صانعة قرار دخوله إلى الجامعة الشعبية،وسفره إلى روسيا ثم دخوله مدرسة الإطارات القيادية،أما محاولته للقاء ممثل الجبهة فهي التي فرضت عليه تعيين نائب منه في قيادة الفرقة،كما فرض عليه فقره وتشرده الانتماء الإيديولوجي اليساري. ومن هنا مواقف هذه الشخصية عبارة عن ردود أفعال للأحداث،أو صدى لواقع معقد شاركت في تكوينه ظروف الحياة المختلفة البعيدة عن الواقع الشعبي،مما أعجزها عن إيجاد توافق مقنع لها، وللقارئ بين الأركان الثلاثة للصراع في هذه الرواية،الاستعمار،الشيوعية،الواقع،هي الأركان التي كل عنصر فيها يضغط بكامل قوته على زيدان،حتى سقط عاجزاً عن تعامله مع واقعه الأصيل،دون أن يحقق شيئاً يذكر.أما لغة الحوار فكانت تعبر،فعلاً عن رؤية هذه الشخصية الإيديولوجية بفضل ما أعطاها الكاتب من أبعاد، وإيحاءات مستقاة من القاموسين السياسي والاقتصادي اللذين اتصلت بهما هذه الشخصية في الجامعة الشعبية، ومدرسة الإطارات القيادية.

و تبقى رواية(اللاز) في اعتقادنا،معماراً فنياً يشارك في رسم،وتثبيت الطريق أمام الرواية الجزائرية الحديثة،حتى وإن تجردت من شخصية زيدان،وهذا لما يمتاز به حدثها من قوة وضخامة، ولما يمتاز به اللاز من مسحة رمزية»[22].

وقد لجأ الطاهر وطار إلى توظيف الأسلوب الرمزي الذي تجلى من خلال شخصية(اللاز)فشخصيته تحمل مجموعة من الدلالات الرمزية،وقد رأى الباحث بشير بويجرة أن دور شخصية اللاز الرمزي تتمثل في« تلك العلاقة القوية الكائنة بين اللاز والشعب كله،وهو الدور الذي أكده زيدان الذي كان يحادث اللاز داخل نفسه،فيقول:(...فيك بذور كل هؤلاء يا اللاز،بذور كل الحياة،كالبحر..لا..إنك الشعب برمته..الشعب المطلق،بكل المفاهيم).إذن فاللاز بهذا الطرح يملك عناصر مهمة من جملة العناصر التي يملكها الشعب،والتي تتمحور حول الصلابة في المواقف،وعدم التهاون في

المصير،والثقة في النفس،ثم التمسك بالمبادئ...وهي نفس العناصر التي ميزت ثورتنا التحريرية، وأضفت على اللاز نوعاً من التقديس والتعظيم من جهة، وشيئاً من الخوف والرهبة من جهة أخرى،كما تمكن الطاهر وطار من أن يعمق هذه العلاقة، وينميها بين اللاز وبين الشعب عن طريق الرمز...حين نجد كلاً منهما غير محدد النسب تحديداً دقيقاً،لأن الشعب الجزائري فيه العنصر البربري، والعنصر العربي، والعنصر التركي، وكذلك البيزنطي لكنه في الأخير ينتمي عن طريق الحتمية الحضارية إلى العنصر العربي،في حين نجد اللاز أيضاً مجهول الأب،حتى ولو حاول الروائي أن يوهمنا ببنوته لزيدان،لأن اللاز بنائه في الرواية أعم وأشمل من أن ينتسب لأب معين، ولأنه كان دائماً حاول آمال وطموحات الفقراء والمساكين، ولكنه في الأخير سيظل منتمياً إلى القرية التي أزعجها بصراخه وطيشه في الجزء الأول،ثم بعث فيها طمأنينة روحية واعتقاداً دينياً حتى تحول عند جماهير(القرية)إلى شبه معبود ديني في الجزء الثاني،فعلاقة النسب والمعاناة بينه،وبين الشعب متشابهة، وقوية إلى حد كبير»[23] ، وقد استطاع الكاتب بصدق سرده، وبراعة تصويره لشخصياته، وتدفق أسلوبه الحاد البسيط الذي يساير توارد أفكاره ،ويعبر عنها بعفوية أن يجعل من قصته أثرا فنيا ممتازا. ولئن كان الإطار العام للموضوع معروفا إلا أن اختيار الحوادث، والشخصيات أعطاه أصالة، ومنحه جدة، وجمالا،وقد تداخلت في القصة المشاهد العنيفة والمشاهد البطولية إلى جانب المواقف العاطفية والإنسانية.وكنا نشاهد مواقف البطولة فنهتز لها اهتزازا كما كانت تسري في مشاعرنا رجفة لطيفة لبعض اللقاءات العاطفية،منها لقاء زيدان اللاز ومنها وصف حياة زيدان الأولى في باريس ولقاؤه بسوزان ومنها حب قدور لزينة وغيرها من المشاهد الرقيقة.وقد استطاع الكاتب أن يظهر الثورية في القصة بأحسن مظهر،كما بث فيها آراءه الخاصة دون عنف أو مغالاة.وان كان فيها التصميم والثياب،وكانت شخصية زيدان المفكرة هي الأساس الروحي للقصة بينما كانت شخصية اللاز تعبر عن صورة الشعب الثائر.واستطاع الكاتب أن يصور هاتين الشخصيتين بدقة سواء أكان ذلك عن طريق الأحداث والأعمال أم عن طريق الحوار،استطاع الكاتب بصدق سرده وبراعة تصويره لشخصياته وتدفق أسلوبه الحاد البسيط الذي يساير توارد أفكاره ويعبر عنها بعفوية أن يجعل من قصته أثرا فنيا ممتازا. ولئن كان الإطار العام للموضوع معروفا إلا أن اختيار الحوادث والشخصيات أعطاه أصالة ومنحه جدة وجمالا.

وقد تداخلت في القصة المشاهد العنيفة، والمشاهد البطولية، إلى جانب المواقف العاطفية ،والإنسانية.وكنا نشاهد مواقف البطولة فنهتز لها اهتزازا كما كانت تسري في مشاعرنا رجفة لطيفة لبعض اللقاءات العاطفية،منها لقاء زيدان اللاز ومنها وصف حياة زيدان الأولى في باريس ولقاؤه بسوزان ومنها حب قدور لزينة وغيرها من المشاهد الرقيقة.وقد استطاع الكاتب أن يظهر الثورية في القصة بأحسن مظهر،كما بث فيها آراءه الخاصة دون عنف، أو مغالاة.وإن كان فيها التصميم والثياب[24].

خاتمة:

تعد رواية(اللاز) واحدة من الروايات التي تكتسي أهمية بالغة في تاريخ الإبداع الروائي الجزائري،وفي مسار الأدب الجزائري،ويمكن اعتبارها الرواية المؤصلة للأدب الروائي الجزائري المكتوب باللغة

العربية،حيث إنها تبرز الصراع بين الثوار ،والمستعمر،وقد أوضحت الصراع القائم بين الثوار فيما بينهم، والصراع القائم بين الأطراف داخل الطبقة الواحدة، حيث تجلى بين فئتين متناقضتين:

الفئة الأولى يمثلها زيدان الشيوعي الذي يلتحق بالثورة عن قناعة واختيار مؤمناً بمحاربة الرجعية في كل مكان،ومعه رفاقه واللاز وحمو.

أما الفئة الثانية أو التيار المعاكس فيمثله الشيخ، وهذا التيار يرفض تعاون الشيوعيين مع الثورة، ويمنحهم فرصة التخلي عن الأفكار الشيوعية دون جدوى،فيقوم بتصفيتهم جسدياً.

وقد وظف الطاهر وطار في هذه الرواية جملة من الأساليب الفنية كالأسلوب الرمزي، والإيحائي،وأسلوب الارتداد،وقد مزجت الرواية بين الأسلوب الكلاسيكي، والأسلوب الحداثي،فمن جانب بنية المكان، والزمان، والشخصيات، والسرد ظهرت فيها النزعة الكلاسيكية،ومن خلال توظيفه لمجموعة من التقنيات الحديثة كأسلوب الارتداد،تجلت العناصر الحداثية فيها[25].

وما يمكن قوله في الختام إن رواية(اللاز)محاولة جريئة في تأصيل خط الواقعية الاشتراكية، وتجسيد الشخصية الثورية،وتمجيد تضحياتها، وقد أسهمت إسهاماً بارزاً في النهوض بالرواية الجزائرية في مرحلة السبعينيات، وتعد علامة فاصلة في تاريخ الرواية الجزائرية،وتنفرد بتوظيف التراث الشعبي، وطغيان اللون المحلي الجزائري،وظهور نضاله في مرحلة الثورة التحريرية،ومتابعة التحولات التي وقعت بعدها،وقد قدمت الرواية عدة دلالات اجتماعية،وتاريخية، وسياسية،وقد امتزجت فيها الهموم الذاتية بالوطنية،ووقفت بشكل معمق مع مختلف تضحيات الشعب الجزائري، مركزة على الصراع بين توجهات شتى.

هوامش وإحالات المقال

[1] صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،مصر، ط1، 2003م، ص:5.

[2] عبد العزيز غرمول:حوار مع الأديب الطاهر وطار،مجلة الحياة الثقافية،العدد:32،سبتمبر،1984م،ص:277 .

[3] الطاهر وطار:اللاز،منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط:01،الجزائر،1974م، ص:207.

[4] إدريس بودیبة:الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار،منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات،عنابة،الجزائر،2011م ،ص:40.

[5] المصدر نفسه،ص:119وما بعدها.

[6] جودت الركابي: قصة "اللاز" للطاهر وطار-دراسة تحليلية-،مجلة الثقافة الجزائرية،العدد:33،يوليو،1976م،ص:90.

[7] عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، دراسة في المعتقدات الشعبية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1987،ص:10.

[8] إدريس بودیبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات الجزائر عاصمة للثقافة العربية،2007م،ص:49 .

[9] إدريس بودیبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار،ص:50.

[10] الطاهر وطار:المصدر السابق،ص:8.

[11] إدريس بودیبة: المرجع السابق،ص:54.

[12] المرجع نفسه،والصفحة نفسها.

[13] المرجع نفسه، ص:54.

[14] المرجع نفسه، ص56.

[15] المصدر السابق، ص273.

[16] المصدر نفسه، ص10.

[17] علي زغينة:إشكالية الشهادة بين المفهوم الديني والتوظيف الإيديولوجي في روايتي اللاز1و2،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر ببسكرة،العدد:03،أكتوبر2002م،ص:123.

[18] بشير بويجرة محمد:الشخصة في الرواية الجزائرية(1970-1983م)،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1970م،ص:56 وما بعدها.

[19] إدريس بودیبة:المصدر السابق،ص:44.

[20] بشير بويجرة محمد:الشخصة في الرواية الجزائرية(1970-1983م)،ص:46.

[21] صالح مفقودة:الواقعية في الرواية الجزائرية،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر ببسكرة،العدد:00 (التجريبي)،أفريل،2001م،ص:19.

[22] بشير بويجرة محمد:المرجع السابق،ص:48 وما بعدها.

[23] المرجع نفسه،ص:115.

[24] المرجع نفسه،ص:116.

[25] د.جودت الركابي: قصة "اللاز" للطاهر وطار-دراسة تحليلية-،مجلة الثقافة الجزائرية،العدد:33،يوليو،1976م،ص:90.و للتوسع ينظر: علي زغينة:إشكالية الشهادة بين المفهوم الديني والتوظيف الإيديولوجي في روايتي اللاز1و2،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر ببسكرة،العدد:03،أكتوبر2002م،ص:123.و بشير بويجرة محمد:الشخصة في الرواية الجزائرية(1970-1983م)،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1970م،ص:56 وما بعدها.و صالح مفقودة:الواقعية في الرواية الجزائرية،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر ببسكرة،العدد:00 (التجريبي)،أفريل،2001م،ص:19.و عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، دراسة في المعتقدات الشعبية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1987،ص:11 وما بعدها.

المصادروالمراجع

1- صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،مصر، ط1، 2003م

2- عبد العزيز غرمول:حوار مع الأديب الطاهر وطار،مجلة الحياة الثقافية،العدد:32،سبتمبر،1984م

3- الطاهر وطار:اللاز،منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط:01،الجزائر،1974م

4- ادريس بودیبة:الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار،منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات،عنابة،الجزائر،2011م

5- جودت الركابي: قصة "اللاز" للطاهر وطار-دراسة تحليلية-،مجلة الثقافة الجزائرية،العدد:33،يوليو،1976م

6- عبد المالك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، دراسة في المعتقدات الشعبية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،

7- علي زغينة:إشكالية الشهادة بين المفهوم الديني والتوظيف الإيديولوجي في روايتي اللاز1و2،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر ببسكرة،العدد:03،أكتوبر2002م

8- بشير بويجرة محمد:الشخصة في الرواية الجزائرية(1970-1983م)،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1970م

9- صالح مفقودة:الواقعية في الرواية الجزائرية،مجلة العلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر ببسكرة،العدد:00 (التجريبي)،أفريل،2001م

10- د.جودت الركابي: قصة "اللاز" للطاهر وطار-دراسة تحليلية-،مجلة الثقافة الجزائرية،العدد:33،يوليو،1976م